هذه هى الفلسفة الزراعية فى مصر وإسرائيل

أبو الوفا بدّور

بعد رحلته إلى إسرائيل . . عاد الدكتور محمود داود وزير الزراعة إلى القاهرة يحمل فى حقيبته . . أسرار طائر برى جديد يساهم فى مشروعات الأمن الغذائى . . أشجار موالح قزمية مثمرة فى أصيص للزهور . . تصميمات ماكينة زراعية جديدة تنثر بذور القطن وتوفر نصف ما نستهلكه . . وأفكارا أخرى كثيرة كشف عنها فى هذا اللقاء الخاص مع مجلة أكتوبر . . ! !

الدكتور محمود داود مع أريئل شارون وزير الزراعة الإسرائيلى فى إحدى الصوبات الزجاجية لأشجار ونباتات الزينة

فى مزارع الموالح الجديدة داخل صوبات سلكية . . !

وهذه الزيارة كما وصفتها أجهزة الإعلام الإسرائيلية كانت ناجحة مائة فى المائة . . استفاد منها خبراء الزراعة فى إسرائيل عندما تناقشوا مع الدكتور داود والوفد المرافق له وعرفوا لأول مرة عن تحميل المحاصيل الزراعية بالطريقة المصرية وفوائدها . . وأسلوب التعاونيات المصرى الذى يطبقه الإصلاح الزراعى وجمعياته التعاونية . .

أما تفاصيل الزيارة فيرويها لنا الدكتور محمود داود وزير الدولة للزراعة والأمن الغذائى . . خطة بلحظة منذ بدأت يوم الجمعة ٢٦ ديسمبر – ولمدة ٦ أيام – حتى الأربعاء ٣١ ديسمبر .

يقول الدكتور داود إننا لم نضع لحظة واحدة . . فما إن هبطت بنا الطائرة فى إسرائيل حتى وجدنا أنفسنا فى الجزء الخاص بتصدير المحاصيل الزراعية الإسرائيلية فى مطار بن جوريون . . وتحت الأمطار الرسمية وتبادل كلمات الترحيب بين منشآت ومخازن التصدير التى تدار إليكترونيا بالكامل . . للدرجة أن الطائرات الجامبو العملاقة يتم شحنها تماما فى خلال أربعين دقيقة فقط . . ومن ذلك المكان يتم شحن مليون طن موالح و ٧٥٠ مليون زهرة وعدد كبير من أطنان الخضروات والفاكهة إلى أسواق أوروبا كل عام .

بيرتوفيا . . ! !

وفى اليوم الثانى للزيارة . . وبالرغم من أنه كان يوم السبت – يوم الإجازة المقدس – فإننا قمنا بزيارة غير رسمية لمنطقة تسمى « بيرتوفيا » وهى عبارة عن وحدة تعاونية على مساحة ٢٠٠٠ فدان يعمل بها حوالى ٧٠٠ شخص . . ويسمى ذلك النوع من المزارع « بالموشاف » . . والموشاف هذا هو نظام التعاونيات الإسرائيلى الذى يحدد العلاقة بين الأرض والدولة والمزارعين . . وفى إسرائيل تملك الدولة حوالى ٩٢٪ من الأراضى المخصصة للزراعة ويملك الأفراد ٨٪ فقط . . وفى الموشاف تقوم تلك العلاقة على أساس المشاركة الكاملة فى وسائل الإنتاج بين الملاك التعاونيين وبين الحكومة .

أما الأرض فتزرع حسب خطة قومية تحددها سياسة الدولة العليا . . وفى بيرتوفيا رأينا نظاما متكاملا للخدمات الزراعية . . جزء منه عبارة عن مصنع لإنتاج العلف الحيوانى يمد المزارعين باحتياجاتهم منه .

ويقوم على مخلفات المزرعة كلها . بالإضافة إلى بعض المكونات الأخرى من الحبوب . . وهناك أيضا مجموعة من حظائر الحيوانات وبعض الصوب الزجاجية التى تنتج الزهور (الورد البلدى) . . هذه تدار إليكترونيا بحيث تروى النباتات وتغذى تحت ظروف رطوبة وحرارة تحددها العقول الإليكترونية . . وهذا الاهتمام الشديد من جانب الدولة أو المزارعين فى زراعة الورد ونباتات الزينة جعل أسواق أوروبا تنتظر ٧٥٠ مليون زهرة قادمة من إسرائيل كل عام .

وفى اليوم الثالث للزيارة . . وكان يوافق الأحد ٢٨ ديسمبر قام الوفد المصرى بزيارة لمدينة القدس واجراء بعض المقابلات مع إسحق نافون رئيس الدولة وإسحق شامير وزير الخارجية . ومناحم بيجين رئيس الوزراء وزيارة خاصة إلى مكتب إريل شارون وزير الزراعة . وقد أكدنا أن زيارتنا هذه إلى القدس على سبيل المجاملة . وأكدنا ذلك مرة أخرى فى مؤتمر صحفى عقد بعد هذه الزيارات . وعلى عدم اعتراف مصر بضم القدس الشرقية أو المساس بالصفة الغربية . وقد أذيع هذا التصريح فى الإذاعة الإسرائيلية كما نشر بالجرائد هناك . . وبعد الانتهاء من هذه الزيارات المكثفة عدنا مرة أخرى إلى تل أبيب فى نفس اليوم .

بيت شان ودالية الكرمل . . !

وعلى مائدة عشو الكنيست أمل نصر الدين تناولنا الغداء ومعنا مجموعة من الوجهاء العرب

بعض الجمع أثناء إلقاء محاضرة علمية فى الجامعة العبرية . !!

والدروز من بينهم أمير طريف رئيس الرابطة الدرزية والشيخ أسعد رئيس الجالية العربية فى هذه المنطقة . وبعد الانتهاء من الغداء وجه الضيوف مجموعة من رسائل الود والاحترام إلى الرئيس السادات . أشادوا فيها بدور القائد فى تحقيق عملية السلام ودفعه المستمر لها وسألوا الله أن يوفق خطاه دائما نحو إقرار السلام العادل فى منطقة الشرق الأوسط .

وقبل تناول الغداء كنا فى زيارة إلى « بيت دجان » وهى إحدى المستوطنات الإسرائيلية التى أقيمت منذ أكثر من ٢٥ عاما وتتركز فيها صناعة حليج القطن قصير التيلة . وبدأ الآن إدخال صناعة حليج القطن طويل التيلة الذى بدأ فى تجربة زراعته منذ عدة سنوات على مساحة ٢٠ ألف فدان . والمستوطنة لا تكتفى بذلك فقط إنما بها مزارع لإنتاج الدواجن الرومى ومجازر آلية ومزرعة كبيرة للإنتاج الحيوانى ومحطة كبيرة لتعبئة الموالح . وتعتبر أكبر محطة لتعبئة الموالح فى إسرائيل وطاقتها تصل إلى ٢٥٠ ألف طن سنويا .

أما بعد تناول الغداء فى تالية الكرمل فقد كانت الزيارة إلى مدينة حيفا لزيارة السايلوهات وهى عبارة عن مستودعات القمح . وإسرائيل تستورد مليون طن قمح سنويا . وتعتبر مستودعات قمح مدينة حيفا من أكبر المستودعات فى إسرائيل وتعتمد على الميكنة الكاملة فى عمليات التفريغ والتعبئة والتخزين .

محاضرة فى الجامعة العبرية !

وفى يوم الثلاثاء . أى اليوم الخامس للزيارة . كان البرنامج مخصصا بالكامل للبحث العلمى وزيارة الجامعة . بدأ بزيارة سريعة إلى مركز البحوث القريب من تل أبيب والمسمى « بيت دجان » ويرأسه الأستاذ شال هيفيت وهدفه هو الاطلاع على أحدث البحوث العلمية فى مجال الزراعة التطبيقى .

أما التجربة التى شدتنا جميعا فكانت تكثيف زراعة أشجار الموالح والخوخ . يعنى أن فدان الخوخ مثلا نزرع به ثمانون شجرة فقط . أما بطريقة التكثيف الجديدة هذه فنزرع فى الفدان الواحد ٨ آلاف شجرة أى مضاعفة عدد الشجر مائة مرة فى الفدان . ويتم ذلك عن طريق تصغير جذور النبات وبالتالى بقل حجمه الخضرى أى الأوراق والفروع . ثم بعض المعاملات الخاصة بالهرمونات يتم إنضاج النبات وتوصيله إلى مرحلة الإثمار . وبالطبع كانت هذه تجربة تكاد تكون جديدة علينا وسوف نوالى متابعتها ونحاول تطبيقها فى حدائقنا الخاصة فى مصر .

وبعد زيارتنا لمركز البحوث ذهبنا إلى كلية الزراعة فى الجامعة العبرية هناك وبدأنا الزيارة باجتماع مع هيئة التدريس وتمت مناقشة البحوث الجارية فى معامل الكلية . كان من أهمها عملية تعقيم التربة عن طريق الطاقة الشمسية . وهذه تتم بطريقة مبسطة للغاية . ففى فصل الصيف حيث تزيد درجة الحرارة تتم تغطية الخطوط التى سيتم زراعتها بالبلاستيك . الذى يؤدى إلى أن تحتفظ الأرض بدرجة حرارتها مما يعمل على تعقيم التربة فى تلك المناطق . وبالتالى يتم القضاء على كثير من الأمراض الفطرية والنيماتودا ويسبب زيادة مباشرة فى إنتاج الفدان من المحصول التالى فى الموسم التالى مباشرة . وسوف تطبق هذه الطريقة عندنا فى مصر لسهولتها ورخصها وفائدتها .

وبعد تلك المقابلة مع هيئة تدريس كلية الزراعة طلب منى إلقاء محاضرة للطلبة عن السياسة الزراعية فى مصر وتاريخ السبعة الآلاف عام فى زراعة الأرض . والطريف أن أعضاء هيئة تدريس الجامعة وأساتذة مراكز البحوث قد زاحموا الطلبة فى المدرجات . وتمت المحاضرة فى جو علمى هادئ استعرضت فيه طريقة التكثيف فى الزراعة المصرية التى تعتبر مصر فيها من أعلى دول العالم وأيضا خطة الوزارة فى هذا عن طريق زيادة معدلات التكثيف ٢٪ سنويا مما يعنى زيادة قدرها ١٢٠ ألف فدان إلى المساحة المحصولية كل عام . وأن خطتنا فى العشرين عاما القادمة هى زيادة المساحة المحصولية من ١٢ مليون فدان إلى ١٥ مليون فدان وذلك عن طريق استعمال التحميل المخصوص والمحاصيل القصيرة العمر مما يوفر بعض الوقت لمحاصيل جديدة يمكن إدخالها فى الدورة الزراعية . وبعد انتهاء المحاضرة تمت مناقشة عن كيفية بدء مجموعة من أبحاث التكثيف الزراعى بالنمط السابق المستخدم فى مصر فى كلية الزراعة فى الجامعة العبرية . وتم الاتفاق على تبادل الأبحاث بين مركز البحوث فى مصر وكلية الزراعة ومركز البحوث فى وزارة الزراعة الإسرائيلية .

وانتقلنا بعد ذلك إلى معهد علمى آخر ومقابلة رئيسه الأستاذ مايكل سيلا أحد كبار علماء المناعة . وشرح لنا الدكتور مايكل البحوث التى يقوم بها معهد « ويزمان » الذى يرأسه فى مجال زراعة الأنسجة النباتية وإمكانية إنتاج شتلات فراولة وبعض أنواع الخضر والفاكهة بهذه الطريقة . وفى مصر يتم حاليا بالاتفاق مع فرنسا إنشاء معهد مماثل فى مركز البحوث الزراعية .

وفى خلال زيارتنا للمراكز العلمية القريبة من الجامعة العبرية فى تل أبيب استرعت انتباهنا عملية تهجين غريبة تتم بين نوع من البط البرى مع نوع آخر من الطيور المحلية عن طريق التلقيح الصناعى . والنتيجة بط من نوع جديد . عظيم أى ليست له القدرة على التناسل . ولكنه يحمل أحسن صفات الأبوين . فالحجم كبير واللحم كثير وطعمه مقبول جدا ويصل إلى ٤ كيلو جرامات فى ٦٥ يوما فقط . وسمى ذلك النوع الجديد هناك باسم (المولرد) . وتم الاتفاق على شراء نصف مليون كتكوت من ذلك المولرد لحساب إحدى الجمعيات التعاونية التابعة للإصلاح الزراعى فى مصر لمحاولة إدخاله فى مصر لكى يساهم مع باقى الثروة الداجنة فى مشروعات الأمن الغذائى .

الميكنة . . بالجملة !

وفى إسرائيل وجدنا نقصا شديدا فى العمالة والأيدى العاملة مما جعل الحاجة إلى استخدام الميكنة الزراعية أملا لابد منه . وبالفعل فإن أية زيارة إلى مزرعة إسرائيلية تبين ذلك . فالاعتماد كامل على الميكنة الزراعية . ولكن الذى جذب انتباهنا مجموعة من الآلات الزراعية الصغيرة الحجم . السهلة التصميم . وكانت أمامنا ماكينة لبذر القطن يمكن عن طريقها توفير نصف البذور التى تستخدم وتضيع هباء . وفى مصر إذا استطعنا استخدام هذه الماكينة فيمكن لنا أن نوفر ٥٠ ألف طن من بذور القطن كل موسم تمكن الاستفادة منها فى عمليات العصير واستخراج الزيت والكسب .

ولقد تم إهداء آلة من هذا النوع إلى الوفد المصرى من مستوطنة (ناريفيا) المختصة بزراعة القطن وعرضوا إرسال أى عدد من الآلات أو الخبراء للعمل على نجاح استخدامها فى مصر . والفيد فى هذه الآلة أنها لا تقتصر على القطن فقط . إنما تصلح لمجموعة أخرى كبيرة من المحاصيل النباتية مثل السمسم والعدس والقمح وأيضا إمكانية تصنيعها فى المصانع الحربية فى مصر .

وبهذه الزيارة انتهى اليوم الأخير لزيارة الوفد المصرى الزراعى إلى إسرائيل وعاد إلى القاهرة محملا بمجموعة من الأفكار الجديدة والتجارب الحديثة فى المجال الزراعى يمكن الاستفادة بها .

وفى سؤال أخير للدكتور محمود داود وزير الدولة للزراعة والأمن الغذائى عن الانطباع الذى أخذه عن هذه الزيارة . وكيف إنه يحمل معه حضارة زراعية ترجع إلى سبعة آلاف عام وهل ما شاهده هناك يمكن أن يسير أحدا ؟ ؟

قال الدكتور داود إن هناك اختلافا كبيرا بين الفلسفة الزراعية هنا . وهناك . فنحن نبحث عن الأمن الغذائى للمواطن المصرى ولدينا خبرات عميقة الجذور . والزراعة فى مصر والفلاح المصرى له طعم آخر مميز عن أى فلاح فى العالم . أما هناك فهدف الزراعة الأول هو الحصول على العملة الأجنبية من الصادرات الزراعية . وهذا هو مفهومهم للأمن الغذائى .

وعن طريق هذه العملات الأجنبية يمكن شراء كل ما يحتاجون إليه من باقى المواد الغذائية والشىء الخطير بالذكر هو الأسلوب الذى يتم للوصول إلى ذلك فمثلا فى عام ١٩٧٧/٧٦ كان حجم وارداتهم الزراعية يصل إلى ٧١٨ مليون دولار وصادراتهم حوالى ٥٣٢ مليون دولار أى بعجز يصل إلى ١٨٦ مليون دولار . وبعد عام واحد وفى الموسم ١٩٧٨/٧٧ انخفضت الواردات إلى ٥٦٣ مليون دولار وارتفعت صادراتهم إلى ٦٤٠ مليون دولار وحققوا بذلك فائضا قدره ٧٧ مليون دولار .

والجديد أن الموالح فقط تمثل ٤٠٪ من قيمة صادراتهم الزراعية هناك وتعتمد على نوع واحد من البرتقال (الشموتى) أما زراعة القطن فبدأت عندهم عام ١٩٥٣ وتغطى الآن حوالى ١٧٠ ألف فدان ويصدرون حوالى ٦٠٪ من قطنهم قصير التيلة الذى يزرع بأسلوب الميكنة الكاملة تماما .

أما عن إمكانية التعاون بيننا وبينهم فى المجال الزراعى فيقول الدكتور محمود داود إنه بعد هذه الزيارة وجد لديهم فعلا تكنولوجيا فى صناعة الدواجن والرومى وإنتاج الحيوان واللبن ويمكن التعاون معهم فى مجال المفاجر الزراعية سواء النباتية أو الحيوانية ومقاومة مرض الوقث فالذى يصيب الحيوانات والتعاون فى مشروعات الثروة الحيوانية بين التعاونيات . . فإن التعاون الذى يمكن أن يحدث . سيكون ماذا لديهم لكننا نفتقده والعكس . وماذا يمكن أن يقدم كل جانب إلى الآخر تحت ظل سياسة مرتبة ومنظمة لذلك الغرض .